المحاضرة الخامسة

الفكر السياسى الغربى و الصراع الدينى فى عصر النهضة

الفكر السياسى الإنسانى المسيحى الغربى

مثلت الصيغة الجديدة للفكر السياسى المسيحى الغربى فى عصر النهضة فى اتجاهين :

الأول : ارتبط بالكنيسة الكاثوليكية البابوية و تبنى استراتيجية الإصلاح الدينى بالحفاظ على وجود الكنيسة و اصحلاحها من الداخل .

الثانى : انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية البابوية و تبنى استراتيجية الإصلاح الدينى بحل الكنيسة و وضع نهاية لها .

و يعد المفكرون الإنسانيون بصفة عامة ، العلامة المميزة لعصر النهضة ، حيث بات الإنسان هو الذى يحتل مركز الإهتمام فى هذا العصر . و أخذ الإنسانيون المسيحيون على عاتقهم مهمة صياغة التصورات الدينية للنزعة الإنسانية ، لأن ما كان يعنيهم فى الدين هو الرجوع إلى الإيمان الحقيقى الذى يتيح للإنسان القدرة على اكتشاف إمكاناته برمتها . و التأكيد على فردية الإنسان و حاجته إلى أن يغيش حياته الإنسانية بكل مناوعها المادية و الروحية .

و للتعرف على الأفكار السياسية للنزعة الإنسسانية المسيحية فقد تم اختيار توماس مور الذى كان واحدًا من الإنسانيين المسيحيين الغربيين الكاثوليك الذين تحرروا من الاستبداد اللاهوتى و استشعروا الحاجة إلى قيم جديدة تضمن التوافق بين المبادئ المسيحية و المتطلبات الجديدة لعصر النهضة .

توماس مور
(١٤٨٩ – ١٥٣٥)

المجتمع الفاضل

ولد توماس مور فى انجلترا ، و جاءت أفكاره السياسية فى كتابه " يوتوبيا " تجسيدًا لواقع بلاده فى الحقبة التى عاشها ، واقع اليأس و الأمل ، النزاع و التوافق، الثروات الضخمة ، الفساد الكبير ، التدهور فى المجتمعات المحلية و العالمية .

و بدأت تنهض طبقة برجوازية قوية واثقة من نفسها ، استطاعت أن تعدل الخارطة الاجتماعية القائمة . فقد نشأت مدن جديدة و صناعات جديدة .

و فى هذا الوسط الذى استقبل التحول الجديد بترحاب ، انتسب توماس مور إلى طبقة الأغنياء ، و كان والده قانونيًا ثم أصبح فيما بعد قاضيًا و من ثم واحد من كبار الموظفين الذيت تم انتقاؤهم من أفراد الطبقة البرجوازية .

إلا أن اختلاف توماس مور مع الملك هنرى الثامن فى سياسته الدينية بوجه خاص أوصله إلى السجن ليحاكم بتهمة الخيانة و يعدم بقطع رأسه .

يوتوبيا توماس مور

كتب توماس مور كتاب " يوتوبيا " عام ١٥١٩ ، و ينقسم إلى قسمين : الأول ، يتضمن عرضًا لسلبيات الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية فى انجلترا و الحلول المقترحة لتجاوزها . و الثانى ، وصف للحياة الاجتماعية والاقتصادية و السياسية فى جزيرة يوتوبيا ، كما تخيلها ، و التى تبدو حياة أنموذجية مثالية تخلو من سلبيات الحياة فى انجلترا بعد أن أخذ أهل جزيرة يوتوبيا بالحل الأساس الذي يقترحه مور بإلغاء نظام الملكية الاقتصادية الخاصة و تطبيق نظام الملكية الاقتصادية العامة .

و ذلك لأن وجود هذا النظام هو مصر كل السبيات القائمة و سببها ، و لأن إلغاء هذا النظام و الأخذ بدلاً عنه بنظام الملكية الاقتصادية العامة هو وحده القادر على تحقيق الصالح العام ، و علل ذلك بالأسباب التالية :

- إن الأخذ بنظام الملكية الاقتصادية العامة يتطابق مع النزعة المسيحية لأن المسيح سُر بمشاركته لتلاميذه فى حياتهم .
- إن نظام الملكية الاقتصادية العامة مازال قائمًا فى أكثر المجتمعات المسيحية أصالة .

و لكى يرسم مور صورة واضحة و متكاملة لاقتراحة بإلغاء نظام الملكية الخاصة و إحلال نظام الملكية العامة محله ، فقد حدد ملامح جزيرة يوتوبيا المثال على صورة يقوم فيها هذا المجتمع على أساس الملكية العامة الذى عرضه فى القسم الثانى من كتابه .

مصادر يوتوبيا

يؤكد جان توشار و جماعته أن كتاب توماس مور " يوتوبيا " يدين بالكثير لكتاب أفلاطون " الجمهورية " ، بحكم الحماسة التى تميز بها الإنسانيون المسيحيون للحضارة اليونانية و تراثها .

و من الخطأ الإعتقاد بأن أفلاطون كان المصدر الوحيد لأفكار كتابه يوتوبيا، فهو أيضًا و فى نفس الوقت مسيحى لابد و أن يتأثر بعقيدته الدينية لتعكس أفكار كتابه يوتوبيا جوانب عديدة من هذه العقيدة .

و يمكن القول أيضًا بأن الاكتشافات الجغرافية تمثل مصدرًا آخر من مصادر فكر مور الذى قرأ ما كتبه الإيطالى كريستوفر كولومبوس ، و وصف فيه مجتمعات بدائية تقوم على الملكية العامة المشتركة .

إلا أن مور لم ينجح تمامًا فى تقديم صورة محبوكة لمجتمع يوتوبيا ، فكتابه فى الواقع كتاب خيالى وصفى فى أغلب جوانبه . و لكنه مع ذلك حقق نجاحًا واسعًا فى القرن السادس عشر .